ISSN 1016 - 4030

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

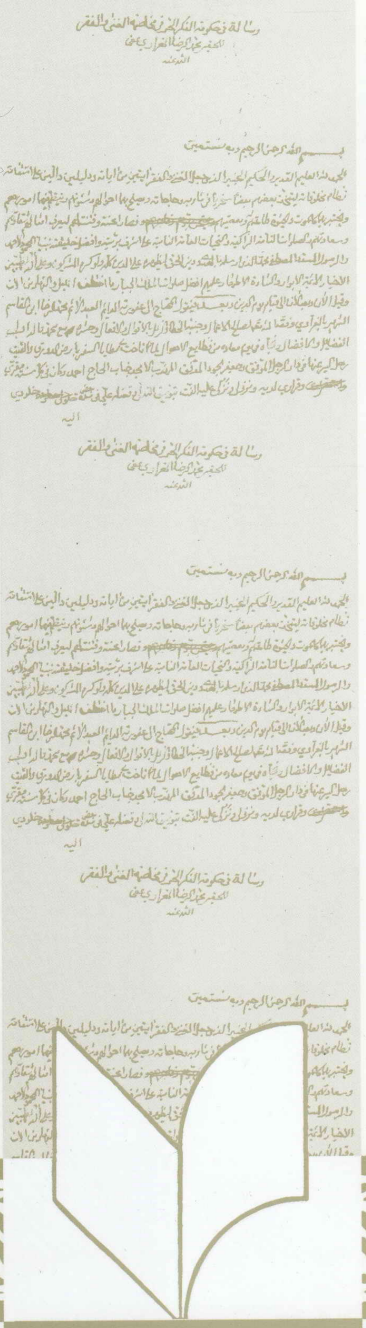

العدد الأوّل [١٣٧]

السنة الخامسة والثلاثون / محرّم - ربيع الأوّل ١٤٤٠ هـ

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

* الإسهام في النشرة باب مفتوح لجميع العلماء والمحقّقين والباحثين والمعنيّين بشؤون تراث أهل البيت عليهم السلام .
* الآراء المنشورة لا تعبّر عن رأي النشرة بالضرورة .
* ترتيب المواضيع يخضع لأُمور فنّية ، وليس لأيّ أمر آخر .
* النشرة غير ملزمة بنشر كلّ ما يصل إليها ، أو بإعادته إلىٰ أصحابه .

المراسلات : تعنون باسم : هيئة التحرير .
دورشهر ـ خيابان شهيد فاطمي ـ كوچه ٩ ـ پلاك ١ و ٣
هاتف : ٥ ـ ٣٧٧٣٠٠٠١ ـ فاكس : ٣٧٧٣٠٠٢٠ .
البريد الإلكتروني : *e-mail : turathona@rafed.net*
ص . ب . ٩٩٦ / ٣٧١٥٦٥٣٧٧١ ـ قم ـ الجمهورية الإسلامية في إيران .
تراثنا .
العدد : الأوّل [١٣٧] السنة الخامسة والثلاثون / محرّم الحرام ـ ١٤٤٠ هـ .
الإعداد والنشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث .
الكمّيّة : ٢٠٠٠ نسخة .
الفلم والألواح الحسّاسة : تيزهوش ـ قم .
المطبعة : الوفاء ـ قم .
الاشتراك السنوي : ٢٠٠٠ تومان في إيران ، و ٢٥ دولاراً أمريكياً في بقيّة أنحاء العالم .

الإجازة بين الماضي والحاضر

د. حميد مجيد هدّو

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة :

الإجازة تقليد تعليمي عرفه المسلمون الأوائل وتبنّاه شيوخ من حملة الحديث ومن مذاهب إسلامية مختلفة ، والإجازة أحد أقسام المآخذ والتحمّل فضّلها بعض علىٰ سائر الوسائل الأخرىٰ ، فهي رخصة يمنحها الشيوخ لمن يبيحوا له الرواية عنهم من مريديهم ، وعرّفها الخطيب البغدادي (ت ٤٦٢هـ) : «بأنّها إباحة المجيز للمجاز له رواية ما يصحّ عنده أنّه حديثه»[1] . وعلماء الحديث هم أوّل من سعىٰ إلىٰ العمل في الإجازة ثمّ تبعهم آخرون ، وبما أنّ الحديث النبوي الشريف يأتي في جلالة القدر في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم لما فيه من أحكام شرعية وعقديّة فهو ـ أي الحديث الشريف ـ الأصل

(١) الكفاية في علم الرواية : ٣٦٢ .

الثاني من مصادر الدين، ولذلك حثّ النبيّ المصطفىٰ ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ علىٰ تعلّمه وحمله إلىٰ الناس. فالعلم فخر بين أهله، والملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب، فمن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلىٰ الجنّة. فزكاة العلم نشره، وهذا لا يتمّ إلّا عن طريق المحدّثين والرواة.

روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خطب يوم منىٰ قائلاً: «نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، وبلّغها من لم يسمعها»[1].

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهمّ ارحم خلفائي، اللهمّ ارحم خلفائي، اللهمّ ارحم خلفائي؛ قيل يا رسول الله ومَن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدي يروون حديثي»[2].

ومن هنا كان اهتمام المسلمين الأوائل بتراجم رجال الحديث طبقة بعد طبقة، فألّفوا المجاميع الموسوعية في تراجمهم، وبيان أحوالهم، فأسّسوا علم الدراية لمعرفة أصول الحديث الشريف، وأصدر الشيوخ إجازات لتلاميذهم جيلاً بعد جيل، وأفردوا مجلّدات لجمعها وتحقيقها، فأوْلىٰ المحدّثون الإجازة اهتماماً كبيراً لأنّها الطريق الموصل إلىٰ حمل الحديث من الطرق المتداولة، فهي تأتي عندهم ـ أي علماء الحديث ـ في المرتبة الثالثة من طرق التحمّل الثمان بعد السماع والقراءة حيث يتحقّق فيها الإبقاء علىٰ

---

(١) البحار ٢ / ١٤٨.

(٢) البحار ٢ / ١٤٥.

سلسلة الإسناد في الأمّة، والإسناد هو الذي حفظ السنّة النبوية الشريفة. كما أكّد العلماء علىٰ الإجازة بعد أن بيّنوا دورها المهمّ في حفظ سلسلة السند وربطها بالصدر الأوّل الذي أخذ عنه الحديث حتّىٰ تنتهي تلك السلسلة عند النبيّ الأكرمﷺ مباشرة، فالرواية عند الإمامية بخاصّة إذا لم يكن سندها متّصلاً بالنبيﷺ عن طريق الأئمّة المعصومينعليهم السلام أو أصحابهم فإنّها تكون موضع شكّ. ولهذا اهتمّ المسلمون وبخاصّة محدّثوا الشيعة الإمامية بتمحيص الحديث الشريف، فكان اهتمامهم بعلم الرجال اهتماماً بارزاً لما له من تأثير وثيق بصحّة الرواية أو الخبر.

فالإجازة العلمية تعدّ من أعظم صدور المدنية العلمية في حاضرة الدول الإسلامية، فيعبّرون عنها بأنّها شامّة بيضاء، وتاج مكلّل بالغار، ووجه من وجوه الحضارة الإسلامية، فلا غنىً لطالب العلم عنها ـ أي الإجازة ـ بكلّ نوع من أنواعها المسموع أو المقروء، فهما بمرتبة واحدة وإن كان بعضهم يخالف ذلك.

وطرق منح الإجازة تعدّدت، منها الإجازة الشفوية أو الشفاهية أو الشفهية وإجازة تحريرية، والشفوية أقدم من التحريرية. روىٰ النجاشي في رجاله أنّ الإمام الصادق جعفر بن محمدعليه السلام قد منح إجازة شفوية لأحد تلاميذه، فروىٰ ذلك التلميذ أنّه قال لإمامهعليه السلام عند قراءته إيّاه: أحبّ أن تزوّدني. فقال الإمامعليه السلام: «إئت أبان بن تغلب فإنّه سمع منّي حديثاً كثيراً، فما

روىٰ ذلك عنّي فاروه عنّي»[١] وأبان هذا من تلاميذ الإمامين الباقر والصادقعليهما السلام ومن الثقات، وتعدّ إجازته المذكورة من الإجازات الحديثية التي ينتهي إسنادها إلىٰ الأئمّة المعصومين من أهل البيتعليهم السلام ثمّ إلىٰ رسول اللهصلى الله عليه وآله.

وهناك من الإجازات ما هو مقطوعة شعرية كما فعل صفيّ الدين الحلّي (ت ٧٥٢هـ) في إجازته لأحد تلاميذه[٢]:

أجزت لسيّدي ومليك رقّي ... رواية ما حوىٰ من نسج فكري
وما أنشأت من جدّ وهَزْل ... وما أبدعت من نظم ونثر
ولم أقصد بذاك سوىٰ قبولي ... لمرسوم أشار به وأمري
ولو نسبوا إليه جميع علمي ... لكان كنقطة في لجّ بحرِ

والمجازون يفضّلون الطريق الأسهل والأسرع في طلب الإجازة من شيوخهم الذين يكونون قريباً منهم؛ لأنّه يشقّ علىٰ الراغب في طلب الإجازة السفر البعيد والترحّل من أجل الوصول إلىٰ المجيز ولقائه وإجازته، فمثلاً ابن المشرق يطلب الإجازة من مجيز في المغرب فيأذن له هذا المغربي في رواية ما يصحّ لديه من حديثه عنه ويكون ذلك المروي حجّة. وهذا النوع من الإجازات عن بُعد معروف ومتداول.

إنّ من أوّل الإجازات المكتوبة كانت في القرن الثالث الهجري كتبها

---

(١) وسائل الشيعة ٢٧ / ١٤٧.

(٢) ديوان صفيّ الدين الحلّي: ٤٨٢.

القاضي الجهضي الأزدي (ت ٢٨٢ هـ) أجاز فيها أحد تلاميذه المدعوّ أحمد ابن إسحاق التنوخي، وهي من أقدم الإجازات كما يعبّر عنها الخطيب البغدادي الشافعي في موسوعته تاريخ بغداد.

وقد وضع علماء الدراية والحديث أحكاماً وشروطاً للإجازات بمختلف أنواعها يجب توفّرها في المجيز والمجاز والمادّة المجازة. فهي لم تقتصر على رواية الحديث فحسب بل تعدّتها إلى علوم أخرى تشمل العلوم الإنسانية والطبيعية والصرفة في بعض الأحيان. والمؤرّخ القلقشندي فصّل في كتابه صبح الأعشى الجزء الرابع عشر كلّ التفاصيل المتعلّقة بهذا الشأن، ويكاد يكون هذا الجزء بكامله كان لهذا المبحث، فضلاً عن علماء آخرين كالشيخ يوسف البحراني في لؤلؤة البحرين ـ أنظر المقدّمة ـ نهجوا المنهج نفسه في بحث الإجازة، تاريخها، أقسامها، مبناها... الخ.

وبهذه المناسبة أودّ أن أشير إلى ما صدر عنّي من إجازات فكانت طفرة نوعية في هذا المجال حيث لم يسبق لأحد العلماء من أجاز تلاميذه أو مريديه بإجازة شيء من آداب العرب وروايات تاريخ الإسلام، فلو نظر المتأمّل إلى عدد من إجازاتي لطالبيها ممّن طرق أبواب التاريخ ومسار الأدب ليجد محتوى ومضمون الإجازة في ما أجازني أساتذتي في الجامعات العراقية في التأكيد على ضرورة إخضاع الخبر التاريخي أو الأدبي إلى ضوابط الجرح والتعديل لما لهما من صلة في كثير من الأحيان بالأحكام الشرعية، وهذا المنهج والأسلوب في الأجازة لم يكن معروفاً بين أوساط المحدّثين ومنانحي

الإجازات القدامىٰ ، وإنّني لم أمنح مثل هذه الأجازة إلّا لمن أتوسّم فيه حسّاً أدبيّاً نقديّاً أو تاريخيّاً يغلغل الخبر ويدرسه دراسة دقيقة حاثّاً إيّاه تحرّي الحقائق وكشف روايات المدلّسين ووعّاظ السلاطين وإخضاع الرواية أو الخبر ضمن هذه الدائرة المعرفية إلىٰ الجرح والتعديل وإخضاعهما لكلّ الضوابط التي يخضع لها الحديث الشريف ، وإذا كانت الرواية لها سند فيجب التأكّد من سلامة السند والمتن علىٰ حدّ سواء ، وهذا هو ما أكّدته وأشرت إليه في منحي الإجازات .

ومن أجل أن نصل الماضي بالحاضر رأيت مراعاة ظروف التجديد والتطوّر في مناهج منح الإجازات والتوسّع في مضامينها ومحتواها لنحفظ لتراثنا الإسلامي الاستمرار في التطوّر والانبعاث والانطلاق إلىٰ آفاقه الواسعة من دون المساس بالأسس والأهداف التي توخّاها القدامىٰ في منح الإجازات لطلّابهم ، وأن نقف بحذر عند الخطوط الحمراء ولا نتجاوزها ونتقيّد بالثوابت والضوابط المعمول بها ، وهذا ليس معناه التحجّر والتحدّي وعدم التمسّك بضوابط منح الإجازة بل العكس من ذلك هو تطوّر واستشراف لمستقبل باهر مشرق لطلّاب العلم ، وعندها سيتّصل الماضي التليد بالحاضر الطريف ونكون قد سايرنا المعطيات العلمية المعاصرة للوصول إلىٰ الهدف المنشود في إحياء تراث السلف الصالح من علماء الإسلام ومؤرّخيهم والسير علىٰ هدىٰ نبيّنا الكريم صلى الله عليه وآله وأئمّتنا المعصومين عليهم السلام ونوّابهم من العلماء والأعلام مجتهدي الأمّة ويمكن النظر في الأنموذجات المحدودة التي اخترتها من مجمل الإجازات

التي منحتها مستحقّيها فهي الدليل الواضح علىٰ ما تقدّم.

تعدّدت الطرق في الإجازة؛ فمن العلماء من كان يجيز تلاميذه بالرواية عنه لكتاب واحد، وبعضهم لمجموع ما كتبه، ومثال ذلك ما ذكره العلّامة الحلّي الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦ هـ) في إجازته الكبيرة.

وللإجازة أركان حدّدها أهل الفنّ ومنهم التهانوي في كتابه **كشّاف اصطلاحات الفنون**[١] تنحصر في الشيخ والمجيز والمجاز له. كما أنّ العديد من العلماء ألّفوا رسائل تتضمّن تعريف الإجازة وحقيقتها ومعناها وقسّموا الإجازات علىٰ خمسة أقسام وزاد بعضهم إلىٰ أكثر من ذلك.

فمن تلك الأقسام: إجازة معيّن لمعيّن، وإجازة معيّن في غير معيّن مثل (أجزتك جميع مسموعاتي أو مرويّاتي). وقسم ثالث من الإجازات: إجازة المجاز وبعضهم يسمّيها إجازة الإجازة، ونصّها: أجزت لك جميع مجازاتي. أمّا القسم الرابع من الإجازات: إجازة العموم، وهي أن يجاز غير معيّن بوصف العموم ممّن هو حيّ يرزق كأن يقول المجيز: (أجزت المسلمين) أو أجزت كلّ واحدٍ، أو أجزت أهل زماني، وقد جوّزها بعض علماء الجمهور كالخطيب البغدادي والقاضي عياض في (الفصل المبين لجمال الدين بن محمّد القاسمي، مخطوط، الورقة ١٩). ومن علماء الإمامية من لا يقرّ مثل هذه الإجازات ويعدّونها باطلة. وهناك عدد من علماء الجمهور من أهل السنّة أجازوا الطفل فعدّت أجازته مشروعة، إلّا أنّ الإمامية يجيزون ذلك في

---

(١) كشّاف اصطلاحات الفنون ١ / ٢٠٨.

حالة واحدة: إذا كان الطفل سيدرس كتاباً معيّناً لأستاذه وحذقه بصورة تامّة فيعدّ هذا الطفل مجازاً بعد بلوغه سنّ الرشد، وذلك لثقة المجيز بصحّة مرويّاته كما حدث مع السيّد ابن طاووس رضي الدين علي بن موسىٰ (ت ٦٦٤) ومع العلّامة الحلّي الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦هـ).

أمّا القسم الخامس: إجازة المعدوم؛ مثل: أجزت لفلان ولمن يولد، أو أجزت لك ولولدك ولعقبك ما تناسلوا، وقد أبطلها الإمامية.

وقد اختلفت أساليب ديباجة الإجازة باختلاف المجيزين إلّا أنّهم اتّفقوا علىٰ بدئها بالبسملة والحمدلة والتشهّد ثمّ الانتقال إلىٰ ذكر ما يتعلّق بالمجاز وذكر من أجازه ثمّ الانتقال إلىٰ ما أجاز به المجاز ومن ثمّ الختام الذي يتضمّن بعض الوصايا للمجاز كالاستقامة والعدل والتقوىٰ وذكر الله تعالىٰ الذي يجب أن لا يغيب عن باله في السرّ والعلن ثمّ الدعاء للمجاز ولسائر المؤمنين.

وبهذه المناسبة أودّ أن أؤكّد للباحثين أنّ العديد من الجامعات الأمريكية والأوربية قد حذت حذو العلماء المسلمين في منح الإجازة لطالبيها معتمدين الأسس نفسها التي عمل بها علماء الإسلام والتقيّد بأنظمتها السارية حتّىٰ يوم الناس هذا، ويسمّىٰ هذا المنهج بالتعلّم عن بعد وعن طريق الانترنت.

وصفوة القول أؤكّد أنّ الإجازة هي كفاءة لا مكافأة، وأرجو أن لا تكون جسراً أو معبراً من أجل وجاهة زائفة أو تباهياً غير مبرّر بعيداً عن الأهداف السامية التي أراد الأقدمون لها، كوسيلة لنقل حديث رسول الله ﷺ وأهل بيته

الأطهار عليهم السلام والوصول إلىٰ الحقيقة ، ولا يكون الهدف منها منح الطالب شهادة تأييد كما يحصل اليوم في بعض الجامعات والمعاهد الرسمية لتكون أداة للتوظيف في دوائر الدولة وكسب وسائل العيش .

فإجازات علمائنا منذ القديم وإلىٰ اليوم تهدف إلىٰ تمييز الصفوة من طالبي العلم بهذه الرخصة أو الإجازة ودفعهم للاقتداء بما كان عليه السلف الصالح من زهد وتقوىٰ وصلاح وأصالة علمية . ومن هنا ظلّت الإجازات محتفظة بأهمّيتها التراثية ومكانتها في مجالات محدودة ، فالمجتهد في الفقه الإسلامي لا يعدّ مجتهداً عند البعض إذا لم يحصل علىٰ إجازة الحديث من شيوخه والله من وراء القصد

كتبها الأقلّ الدكتور حميد مجيد هدّوا
/ أستاذ الدراسات التاريخية العليا / بغداد
والمدير التنفيذي لمجلّة المصباح القرآنية المحكّمة
قم المقدّسة ـ سلخ شهر رجب الأصبّ ١٤٣٨هـ

المصادر

١ ـ **الكفاية في علم الرواية** : للخطيب البغدادي ، تحقيق : أحمد عمر هاشم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ.

٢ ـ **بحار الأنوار** : للعلّامة المجلسي ، مؤسّسة الوفاء ، بيروت ، ١٤٠٣هـ.

٣ ـ **وسائل الشيعة** : للحرّ العاملي ، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، إيران ، قم ١٤١٤هـ.

٤ ـ **ديوان صفيّ الدين الحلّي** : لصفيّ الدين الحلّي ، سورية ، دمشق .

٥ ـ **كشّاف الصطلاحات الفنون** : لمحمّد علي التهانوي ، تحقيق : رفيق العجم وعلي دحروج ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٦م .